شرح

عمـــدة الفقـــه

لشيخ الإسلام

موفّق الدين ابن قدامة المقدسي

طيّب الله ثراه

وَإِنْ أَخَذَهُ بِغَيْرِ شَيْءٍ، رَدَّهُ

شرح معالي الشيخ

د. مُحمدُ بنُ محمّد المختار الشنقيطيُّ

عضو هيئة كبار العلماء بالسعودية

وَإِنْ أَخَذَهُ بِغَيْرِ شَيْءٍ، رَدَّهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال رحمه الله: "وَإِنْ أَخَذَهُ بِغَيْرِ شَيْءٍ، رَدَّهُ".

"وَإِنْ أَخَذَهُ بِغَيْرِ شَيْءٍ، رَدَّهُ" يعني لو فرضنا أن المسلمين.. هذه كلها أحوال تقع..

خرج المسلمون ونزلوا في موضع، فجاء الكفار واغتنموا بغتة من المسلمين واحتملوا مثلًا متاعًا، أخذوا خيمة بكاملها، يقع هذا، لأنهم كانوا يأخذون أي شيء يجدونه، يجدون مسلمًا في طريقهم.. لأنها دار حرب ومحاربة، فوجدوه في طريقه فأخذوا حتى ثيابه التي عليه، يفعلون لأنه عدو، فأخذوا سلاحه وأخذوا ثيابه، فهذا شيء أخذه الكفار..

لو فرضنا أنه خرج فأُخِذ منه الشيء، أخذه منه كافران، طَوّقوه وأخذوا منه هذا الشيء، فخرج الكافران رآهما مسلمان أو ثلاثة مسلمين طَوّقوهم فأخذوا هذا الشيء الموجود معهم، هذا الشيء في الأساس للمسلم، والذي أخذوه هؤلاء أخذوه بغير قتال، ما هو في حال القتال.. لاحظ!.. فقط وجدتموهم في الطريق فأخذوهم، أو رأوهم نازلين فانّدَسّ أحدهم وسَلَب هذا الشيء وأخذه بدون قتال حتى لا يسري عليه مسألة الغنيمة.

إذًا أخذه من دون قِسمة الغنيمة، أخذه هكذا، يعني أخذه أحد الرعية، في هذه الحالة يُرَد على صاحبه، لأنه ما في يد شرعية لتمليك هذا الثاني بأَخْذه.

قال رحمه الله: "وَمَنِ اشْتَرَى أَسِيرًا مِنَ الْعَدُوِّ فَعَلَى الْأَسِيرِ أَدَاءُ مَا اشْتَرَاهُ بِهِ".

لو أن مسلمًا أخذه العدو.. إذا اشْتُرِي.. اشترى من العدو أسيرًا مسلمًا، هذا كان يقع للتجار كثيرًا، لأن كان تجار المسلمين يدخلون بلد الكفار ويأتون منهم، ففي بعض الأحيان.. طبعًا قد تكون تجارة بين بلاد المسلمين وبين بلاد الحرب، وقد تكون تجارة بينهم وبين طرف آخر..

فبلاد الحرب يأخذون مثلًا أسرى المسلمين في القديم ويبيعونهم سواء بينهم أو عند آخرين، فلو بيع المسلمون مثلًا عند غيرهم فجاء شخص مسلم واشترى هذا الأسير، وجاء به إلى بلده أو إلى المسلمين فحينئذٍ نقول للأسير: ادفع لهذا المسلم القيمة التي دفعها فيك.. يستحقها، ويستحق فداء نفسه بهذه القيمة؛ لأنه غَرِم، وغَرِم لمصلحة المسلم.

هذه من المسائل التي يتصرف فيها الشخص لمصلحة الشخص فيُلزَم الشخص بالدفع وهو لم يأذن له، لأنه ما قال له: (فاديني)، ولم يَقُل له: (أَخرجني من الأَسْر) ولم يطلب منه ذلك ويُلزَم.

وهذه لها مسائل ولها نظائر في الفقه، يعني في بعض الأقضية يُقضَى فيها باللزوم، منها: هذه المسألة، يُقضَى بفداء نفسه بنفس القيمة.

قال رحمه الله: "بَابُ ٱلأَنْفَالِ".

الأنفال والغنائم بابها واحد، والحمد لله أننا انتهينا من كتاب الحدود، والجهاد الآن أحكامه انتهينا منها.

إن شاء الله بإذن الله عز وجل على الترتيب نحاول أن تكون هناك دورة ثانية بإذن الله عز وجل قبل نهاية هذا الفصل الثاني حتى يتيسر للأخوة المسافرين من طلبة العلم أن يُتِمّوا الكتاب بإذن الله.

ستكون الدورة القادمة في كتاب القضاء والشهادات إلى آخر الكتاب بإذن الله.

لكن الدرس القادم بإذن الله سيكون بعد الفجر يوم الخميس القادم، والسبب في أنه بعد الفجر ما لا يقل عن ثلاث ساعات يعني تُعادل ثلاثة دروس أسبوعية بعد المغرب، وهذه الدروس يحتاجها طلبة العلم، وفي حاجة ماسّة لكي ننتهي.

فبإذن الله في الخميس القادم نحاول أن ننتهي من الغنائم بإذن الله تعالى إذا الله يَسّر.

فهذا سيكون آخر درس اليوم، وإذا أراد الله عز وجل وانتهينا من كتاب الجهاد ستكون الدورة في كتاب القضاء والشهادات والإقرار إلى آخر الكتاب، نسأل الله أن يُيَسِّر ذلك.

الأسئلة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أثابكم الله فضيلة الشيخ، ونَفَع الله بعلمك المسلمين، وغفر الله لك ولوالديك وجميع المسلمين.

السؤال الأول: فضيلة الشيخ! هذا سائل يقول: شخص رَضَع من امرأةٍ خمس رضعات، وزوج هذا المرأة متزوج من امرأةٍ أخرى، فهل تَحِلّ له وتكون مَحْرَمًا له؟ وكذلك أخوات هذا الزوج هل هن محارم له؟ وجزاكم الله خيرًا.

الجواب: بسم الله، الحمد لله، والصلاة والسلام على خير خَلْق الله وعلى آله وصحبه ومَنْ والاه، أما بعد..

فإذا رَضَع الشخص من امرأةٍ فزوجها الذي ثاب اللبن بِوَطْئه أبًا له من الرضاعة، وكل مَنْ يُنجبه هذا الأب إخوةٌ لهذا الرضيع سواءً قبل الرضاعة أو بعد الرضاعة؛ لأن العبرة في نَشْج العَظْم وإنبات اللحم من هذا الأب.

وبناءً على ذلك؛ كل فروعه يأخذون حُكْم النَّسَب لقوله عليه الصلاة والسلام: «ائذني له؛ إنه عَمّك من الرضاعة» في قصة عائشة في الصحيح.

وعليه؛ فجميع مَنْ يُنجبه أخوات وإخوة لهذا الرضيع.

وأما مسألة إذا تَزَوّج هذا الرجل امرأة، وهذا الولد رَضَع من زوجته الثانية، فالزوجة الثانية قبل أو بعد الرضاع زوجة أبيه من الرضاع، وزوجة الأب من الرضاع مُحَرّمة كزوجة النَّسَب، وحُكِي الإجماع على ذلك، (أن التحريم بالمصاهرة كالتحريم بالنَّسَب في الرضاع)، يعني الرضاع تسري عليه أحكام التحريم بالنَّسَب، فتحرم الربيبة من الرضاع كما تحرم الربيبة في النَّسب.

هذا بالنسبة لحُكم المسألة: أنهم يُعتبَرون محارم له على التفصيل الذي ذكرناه، والله تعالى أعلم، والدليل على هذا: قوله عليه الصلاة والسلام: «يَحْرُم من الرضاع ما يَحْرُم من النَّسب»؛ فلمّا كان النَّسَب يُحَرِّم بالمصاهرة كذلك أيضًا الرضاع تُحَرِّم بالمصاهرة، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

السؤال الثاني: أثابكم الله. فضيلة الشيخ! هذا سائل يقول: متى يحصل المُشَيِّع على القيراط الثاني بعد الانتهاء من الدفن أو بعد منتصف الدَّفْن؟ وجزاكم الله خيرًا.

الجواب: العبرة: بشهود الجنازة حتى تُدفَن، فإذا دُفِنَت وتم دَفْنها فإنه حينئذٍ يكون له الأجر المنصوص عليه، والله تعالى أعلم، لقوله: «ثم شَهِدها حتى تُدْفَن كان له قيراطان».

❁ ❁ ❁

السؤال الثالث: أثابكم الله. فضيلة الشيخ! هذا سائلٌ يقول: أنا شاب حريصٌ على تحصيل العلم، ولكني كثيرٌ ما تأتيني وساوس في ذِهني أني لا أصلح لِطَلَب العلم وهذا لِقِلّة ضَبْطي للعلم، فأرجو من فضيلتكم نصيحتي، والله ولي التوفيق.

الجواب: أولًا: إذا أَحَبّ الإنسان العلم، وأَحَبّ أن يكون من أهل العلم فهذه رحمة من الله أسكنها في قلبه، وعليه أن يغتنم هذه الرحمة لأنها عَطِية من الله سبحانه وتعالى، ومَنْ عَظّم عَطِية الله فقد شَكَره سبحانه وتعالى، إذا عَظّمت هذه العَطية تسعى في الأسباب لتحصيل العلم.

والوساوس والخَطَرات: أوصي طالب العلم ألا يلتفت للوساوس والخَطَرات إلا إذا حَمَلت على كمالٍ يُرضي الله عز وجل، إذا شيء يأتي في النَّفْس يقول لك: (مَنْ أنت، مع أنك من طلبة العلم ومن الحُفّاظ لا تتكبر على الناس، ولا تتعالى، لقد كنت جاهلاً، كنت كذا) هذا خير، هذه نعمة، لَمّا يُحَقِّر فيك لكي تتواضع للناس، لكي تُوَطِّئ الكَنَف، لكي تُحس أن الناس لهم عندك حق من بَذْل العلم وإعطائه، هذه نعمة من الله عز وجل، وهذا خير أراده الله بك.

وأرجو من الله أن يكون لَمّة المَلَك، لأن المَلَك يَلُم بالخير، فإذا جاء مثل هذا الحديث في النَّفْس، فهي قد تُوسوس.. النَّفس نفسها قد تُوَسِّوس للإنسان بالخير، لأن الإنسان إذا حَدّث نفسه بالخير فهو على خير.

فإذا شعر أن في نفسه وساوس تدعوه إلى أن يَجِدّ ويجتهد فتقول له مثلًا: (حالك ليس بِمُرْضٍ، فأنت الآن تنام الليل وترتاح، وطالب العلم عليه أن يَجِدّ ويجتهد فيجعل أكبر الوقت وأكثر الوقت في طَلَب العلم)..

جاءته نفسه وقالت له: (أنت تفتح بابك لكل مَنْ هَب ودَبّ، وتذهب زيارات، وتضييع وقتك، لماذا لا تقتصر على الواجبات والأساسيات، وتتفرغ لِمَا هو أهم)..

هذه وساوس تدور في النَّفْس، قد تكون من النَّفْس اللّوامة، تلوم صاحبها، هذه تحمل على الكمال..

فمثل هذه نعم..

أما إذا جاءك يقول لك: (مَنْ أنت الذي تريد طلب العلم، قبيلتك ما هي قبيلة عِلْم، جماعتك ما هي جماعة عِلْم، شكلك ما هو شكل عالِم، لونك ما هو لون عالِم، بيتك ما هو بيت عالِم) هذا كله من إبليس..

العلم ليس حِكْرًا على أحد، العلم فَضْل من الله سبحانه وتعالى، وليس حِكْرًا على لون ولا على قبيلة وعلى جماعة، دين..

كان في بلال رضي الله عنه يُؤتَمَن على رُكن الإسلام الأعظم بعد الشهادتين، وهو الذي يُنادي الناس إلى صلاتهم، ويُخبرهم بابتداء فَرْض صومهم وانتهائه.

هذا كله يدل على عَظَمة هذا الدين، هذه الوساوس وساوس شيطانية لا تُؤثِّر في النَّفْس، لا تجعلها في نَفْسك.

لَمّا يأتي ويقول لك: (مَنْ أنت حتى تطلب العلم) أو مثلًا (لن تصل إلى العلم، أو لن تصير عالِمًا) قل له: الفضل لله عز وجل، والله سبحانه يَمُنّ على مَنْ يشاء، ونحن عباده تحت رحمته، والله سبحانه وتعالى إذا فَتَح باب رحمة ما يستطيع أحد أن يُغلِقه ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر: ٢]، فالله سبحانه وتعالى ذو الفضل العظيم.

فإذا جاءت هذه الوساوس تريد أن تقطعك عن الخير اقطعها، وأما إذا حملتك على الكمالات وحَمَلتك على احتقار النَّفْس، وحملتك على الإزراء على النَّفْس، وحَمَلتك على أن تكون مُوَطَّأ الكَنَف، وأن تَأْلَف وتُؤلَف، وأن تنظر للناس لا تُفَرِّق بين غَنِيّهم وفقيرهم وقَوِيّهم وضعيفهم، فتأتيك أحاديث النَّفْس وتُذَكِّرك بأنك يوم من الأيام كنت جاهلًا، وأنك يوم من الأيام كنت لا تعرف كيف تتوضأ ولا كيف تصلي ولا كيف تصوم ولا كيف تحج، وأن الله عَلّمك فيخشع قلبك، وتُحس أن الأمانة عظيمة والمسئولية كبيرة، وأن عليك أن تُضَحّي للأُمّة، وأن تُعَلِّم قَدْر ما تستطيع وأن تتغرّب لِنَفْع العباد؛ هذا شيء طَيِّب.

هذه الوساوس التي تُحيي في النَّفْس الكمالات هذه رحمة من الله بك، وأما إذا جاءت تُخَذِّل وتقطع الإنسان عن السبيل فهذه تستعيذ بالله عز وجل منها؛ لأن الله أَمَرَ عبده أن يستعيذ به سبحانه من الشيطان الرجيم، هذه من الشيطان حَنِق عدو الله لِمَا أنت فيه من الخير، ويريد أن يُبعدك عنه.

أُوصي طالب العلم.. أي طالب عِلْمٍ يطلب العلم، ويضع نَصْب عينيه أن يَجِدّ ويجتهد، ويضع نَصْب عينيه الطمع في رحمة الله، ويضع في نَصْب عينيه حُسْن الظن بالله ليس عنده وقت لهذه الوساوس.

طالب العلم أصل الذي هو طالب علم ما عنده وقت أن يلتفت لهذه الأمور من تخذيل الشيطان، وتخذيل شياطين الإنس والجن، تأتي تخرج في الحي تحمل كتابك يقولون: (هاها! انظروا فلان يريد أن يصير عالِمًا)! ما يتركون أحد..

ابن عباس رضي الله عنهما معه رجل من الأنصار.. لَمّا تُوفي رسول الله ﷺ ألهمه الله عز وجل بفضله، فقال للرجل من الأنصار: (هَلُمّ نطلب العلم) يعني أصحاب النبي ﷺ الآن موجودين هَلُمّ نطلب العلم، قال له كما روى أبو نُعيم في [الحِلية]: (إيه يا ابن عباس! أَتُسَوِّل لك نفسك أن تصير عالِمًا؟!)، لم يمت الأنصاري حتى رأى الناس بالأُمم على باب ابن عباس رضي الله عنهما!

ما أحد يَسْتَخِفّ بأحدٍ يريد طريق الله عز وجل إلا جاء اليوم الذي يُكَذِّب الله فيه ظَنّه، ويُخَيِّب الله عز وجل فيه قوله؛ لأنه مبني على باطل.

إذا جئت تعتقد أن فضل الله عظيم، وأخذت العلم من طريقه، وتواضعت في العلم وجَدِّيت واجتهدت وأخذت بالأسباب بإذن الله عز وجل تُصْرف عليك كلها، لا الوساوس والشهوات..

بعض الطلبة يأتي يقول: والله الوساوس أتعبتني وما أستطيع أواصل طلب العلم!

عندك وقت تفضى للوساوس؟!

أنت نهارك حِفْظ، وليلك مراجعة، متى تفضى للوساوس؟

ويأتي بعضهم يقول: والله الفتن، أذهب إلى الحرم وفِتَن النساء وصُوَر النساء!

مَنْ الذي يوضعك في هذه الفتن؟!

أنتما حينما تملأ قلبك بـ (قال الله، قال رسوله)، وتشتغل -- ((@ كلمة غير مفهومة- ١٣:٥٨)) – تكتحل السَّحَر، وأنوار الوحي هذه يغسل الله بها أدران قلبك وفؤادك، حتى إنَّ ترى طالب العلم بحق لَمّا يخرج إلى الناس يخرج لهم مُوَطَّأ الكَنَف متواضعًا، يحب لهم الخير كما يحبه لنفسه؛ لأن ملأ الله قلبه بهذا النور والخير.

أما أن يأتي مُتَّكِلًا على حوله وقوته، ويجلس يقول: والله ودي أواصل طلب العلم لكن الوساوس أقعدتني، والثاني يقول: الشهوات أمرضتني، الصور أتعبتني!

ما هذا؟! ما الذي جعلك تذهب إلى الصور، وما الذي جعلك تنظر يمينًا وشمالًا؟! وما الذي جعلك تشتغل بهذه الأمور في نفسك وفي خارج نفسك؟!

أنت عندك شيء، لَمّا تنظر أنه رسالة ملك الملوك وإله الأولين والآخرين، وأن الله سيبوئك بها مُبَوّأ صِدْق، وأن الله سيرفع بها ذِكْرك ويشرح بها صدرك، ويُعْلي بها قَدْرك، وأن الله سيجعلك بها إمامًا للمتقين، وإمامًا لصفوة عباده من الأخيار؛ تجد أن الأمر شيئًا آخر، تجد ما أنت فاضي لهذه الأشياء.

من الناس مَنْ عاش حياته وهو في العلم، حتى كان بعض العلماء إذا جَلَس في مجلسه – وهذه حقيقة ومعروفة عن بعضهم، وذُكِرَ حتى عن جماعة رحمهم الله- بعضهم أنه كان إذا دَرّس ما يعرف بيته، ما يعرف يرجع إلى بيته، لماذا؟!

لأنه بين (قال الله، قال الرسول) بين الجنة والنار، لو يُخطئ خطأً واحدًا..

تَأمّل رجل يقولون له: لو زللت قليلًا ستسقط في نار وتموت، كيف يكون؟

فما بالك بنار وقودها الناس والحجارة؟!

إذا غلطت بكلمة واحدة لم تتعاطَ أسبابها تُحاسَب.

فتجد الذي هو طالب عِلْم بحق ما عنده وقت للوساوس، ولا عنده وقت للتُرّهات، الله عز وجل أكرمه بجنة في الدنيا قبل جنة الآخرة.

إذا نظر إلى فتنة النظر وجد أن من أنوار الوحي والقرآن الذي طَهَّر به بصره يستحيي أن يمد به بصره إلى عورة من عورات المسلمين، يستحيي أن يلتفت إلى فتنة، وأن هذا القلب الذي ملأه بأنوار التنزيل ما في وقت لسوء الظن بالمسلمين، ولا في وقت للحقد..

كيف سيخرج للناس غدًا يقول لهم: لا تحقدوا، وكيف سيقول لهم: لا تنظروا إلى الفتن، وكيف يقول لهم: لا تنظروا إلى الشهوات؟!

ثِق ثقة تامة أنك إن بدأت بهذه الروح، وأنك بدأت طالب عِلْم تنشغل بالعلم كما ينبغي أن ينشغل طالب العلم بإذن الله ستجلس غدًا وترى البركة والخير الذي يضعه الله عز وجل في قولك وسَمْتك ودَلّك.

والبعض يظن أن التّصَدُّر في العلم وتعليم الناس هو بكثرة تحصيل العلوم والجلوس لكي ينثر هذه العلوم..

كم أناس تَكَلموا في العلم وما ألقى الله لكلامهم، لم يُلْقَ لكلامهم بالًا؛ لأن الله صَرَف عنهم القلوب.

وكم من أناسٍ تَكَلموا، تعبوا من كثرة الكلام وما وضع الله البركة لقولهم.

في حساب، الله عَدْل، أنت تحت مراقبة تامة من الله سبحانه وتعالى، إن أصلحت لله سريرتك واستقمت كطالب علم، لَمّا تشعر بعَظَمة هذا العلم، وتشعر أن عندك أمانة ومسئولية، تلك الساعة فَكِّر إذا كان سيشغلك الحرام..

كان بعض العلماء شُغِل عن الحلال، من العلماء مَنْ لم يتزوج، شُغِل عن الحلال فضلًا عن أن يشتغل بالحرام.

هذا العلم نور، ميراث النبوة..

والسبب الذي أُوتي به طلبة العلم إلى متى وهو لم يشعر بالذي بين يديه، لأنه لم يُوَطِّن نفسه أنه سيأتي إلى رسالة عظيمة، لو وَطّن نفسه لتجده بمجرد أن يجلس في المجلس ويرى مسألة واحدة يُحِس كأنه مَلَك الدنيا وما فيها، والله أعز من الدنيا وما فيها.

لكن انظر الآن طالب العلم، قد يجلس ويقرأ كتابًا كاملًا، بل حتى ربما ينتقد شيخه الذي يقرأ عليه (يا شيخ! ما انتهينا من الكتاب، ما أحضرنا الكتاب) ويذهب إلى البيت كيف الدرس؟ (والله اليوم الشيخ الشرح ما هو متوسع، ما ذكر...)!! ما يدري طالب علم أين هو، ما يدري أنه قدوة، يقرأ آية الغيبة، يغتاب حتى شيخه الذي يجلس عنده، أنا ما أقول عن نفسي، أقول يعني عن وَضْع نعيشه..

والبعض يقول: يا شيخ! ما رأيك في شيخ دائمًا يُوَبِّخ طُلابه أنهم لا يُقومون الليل وأنهم وأنهم؟!

ما لك ومال هذا الشيخ، جالس تدخل بين الشيخ..

أُناس تَرَبّوا على أيدي علماء وعرفوا كيف يُرَبّوا الناس، أنت في غفلة، لَمّا تأتي تُقارِن شيخ بآخر وأنت إلى الآن ما تدري ما الذي أنت فيه..

على الشيخ مسئولية وأمانة، أن يأخذ بحُجَز كل مَنْ حوله، لأنه مَرّت عليه مواقف ويعرف كيف علاجها.

الذي عليك أن تتأدب بآداب الإسلام، وتحترم أهل العلم، وتعرف أن الذي بين يديك

رسالة ملك الملوك حتى تعرف كيف تتعامل مع وساوس الشيطان من شياطين الإنس والجن، الظاهرة والباطنة، لأنك أنت القدوة غدًا، بعد الله عز وجل إذا وَفَّقك الله سبحانه وتعالى.. بعد توفيق الله ستكون القدوة للناس، ستكون إمامًا.

ولذلك تجد البعض يقول لك.. طلبة العلم: والله ما أجد يا شيخ، أنا لي عشر سنوات وأنا أقرأ في الكتب وعندي مكتبة وعندي كذا، عشر سنوات فيما قضيتها؟

وهذا يدلك على الخَلل، لمَّا يأتي شيخ في كل درس يقرع طلابه وعنده أسئلة الطلبة من الآهات والويلات والفِتن تعرف لماذا الشيخ يقرع طُلّابه ويقول لهم: ما تقومون الليل وما تذكرون الله عز وجل..، تعرف أن هناك مَنْ يغار على دين الله..

لأنه إذا أصبح طلبة العلم بهذه المثابة انعكس ذلك حتى على مَنْ يُدَرِّسهم، ربما يقول: خلاص.. ما أريد أن أُدَرِّس إذا أصبحت هذه أوضاع طلبة العلم.

لا.. بل عليه أن يَجِدّ ويجتهد ويُحيي في نفوسهم.. ويُذَكِّرهم بالله عز وجل، ويشحذ هِممهم، ويُحَرِّضهم على العلم.

فعلى كل حال؛ الخَلل كله يدور حول الشعور بهذا العِلم، الشعور بهذه المكانة التي أنت فيها.

والله لو علمت أن الدقائق التي عِشْتها في مجلسٍ تَحُفّه الملائكة، وأن الله ساقك إلى هذا المجلس، وقد كان بالإمكان أن تُبتلَى في سَمْعك وبصرك وحولك وقوتك، وقد كان بالإمكان أن يُسَلَّط عليك المرض، وقد كان بالإمكان تُسَلّط عليك الشواغل لعرفت قيمة هذه المجالس.

والصحابي يجلس عند النبي ﷺ فيسمع حديثًا واحدًا، ويضع الله له البركة فتنتفع به الأُمّة.

مالك بن الحويرث عاش مع النبي ﷺ بضعة عشرة ليلة نَقَل للأُمّة حديث الصلاة،

قاعدة في الصلاة «صَلّوا كما رأيتموني أُصلي» جاءت من حديث مالك بن الحويرث.

وما من مسألة في فرضية رُكن أو واجب في الصلاة إلا واستُدِلّ فيها بقول مالك بن الحويرث «صلوا كما رأيتموني أصلي» لأن الله بارك له في هذا.

وبعض طلبة العلم يقول: يا شيخ! أبغى أصحبك، وما أستطيع إلا لمّا أذهب معك، ونريد إحياء حال السلف في الصحبة..

والله نتمنى، أتمنى لو عندي أوتوبيس وأصحب طلبة العلم، والله ما أقولها هكذا، أتمنى لو عندي حتى قطار نذهب مع طلبة العلم..

لكن أين نحن..

الشخص.. بعض الأحيان تجد على طاولة الشيخ ثلاث آلاف قضية ما بين طلاق وما بين.. وكل واحد صاحب قضية يقول: أَخَرّتني، وأنت تُقَدِّم غيري..

وطالب يأتي ويقول: يا شيخ! أنت ما قبلتني، وقدامه عشرين طالب أو مائة طالب، كيف أُفَضّلك على غيرك؟

طلبة العلم مشتغلين بأشياء، هذه أشياء كمالات.

الأساس هو أن تطلب العلم للعلم، من الناس مَنْ هو بعيد عن الشيخ، لم يصحبه ولم يَقربه وهو أقرب الناس إلى الشيخ في ضَبِطه وإتقانه وعمله بالعلم، وحِرْصه على تبليغ العلم، ويذهب إلى بيته مشكاة نُبُوّة، يحيى السُّنة.

ومنهم مَنْ هو أقرب إلى الشيخ ويغترّ بصُحبة الشيخ، ولا ينفعه ذلك بشيء.

ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله: (أن من أسباب هلاك بعض الناس صُحبتهم للصالحين) أنهم يغتروا بصُحبة الصالحين.

فعلى كل حال؛ على طالب العلم أن يقشع عنه هذا الغبار، وأن يُحَدّد طريقًا، وأن يتعامل مع الله سبحانه وتعالى، وأن القضية قائمة على ضَبِط العلم، والشعور بِعَظَمة هذه الرسالة حتى ينشغل عن الشهوات والشُّبهات.

وقد وجدنا في ذلك علاجًا نافعًا بحمد الله، ووجدنا أَثَرًا طَيِّبًا، وهو من وصايا أهل العلم لنا، ومما أدركنا من أهل العلم، أن طالب العلم إذا اشتغل بالعلم كما ينبغي شَغَله العلم عمّا لا ينبغي.

هذه خُذْها قاعدة..

ونسأل الله بعِزّته وجلاله، وعَظمته وكماله أن يُسدد أقوالنا وأفعالنا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.